

برنامج أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الثانية عشرة

المسيح وخروف الفصح

انتهينا في اللقاء الماضي من دراستنا حول سفر التكوين ، حيث عرفنا الكثير من الرموز والمعاني التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والمخلص يسوع المسيح . وكنا قد تأملنا في اللقاء السابق بنبوءة يعقوب التي تنبأ بها عن ابنه يهوذا . والتي أشارت إلى أن المخلص الملك يسوع المسيح سيأتي من سبطه أو من نسله، وأنه ستخضع له وتتعبّد شعوب كثيرة .

ويسرنا ابتداء من لقاء اليوم أن ننقل إلى السفر الثاني من الكتاب المقدس ، الذي هو سفر الخروج . لنكتشف أيضا المزيد من الرموز والمعاني ، التي تشير إلى خطة الله للخلاص ، والمخلص المسيح .

يبدأ سفر الخروج بالحديث عن النبي موسى كلیم الله ، وولادته ونشأته في بيت فرعون . ثم كيف هرب إلى البرية بعد أن قتل أحد المصريين دفاعاً عن بني شعبه من العبرانيين . وكيف ظهر له الله في البرية ، بلهب نار من وسط العليقة ، طالباً منه أن يقود شعب العبرانيين ، ويخرجهم من أرض مصر ، ويحررهم بالتالي من العبودية .

لكن فرعون ملك مصر آنذاك رفض طلب موسى وأخيه هرون بإخراج الشعب لكي يعبدوا الرب . فقال الرب لموسى : " الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون . فإنه بيد قوية يطلقهم ، وبيد قوية يطردهم من أرضه . " (خروج ٦: ١) .

وبسبب إصرار فرعون على عدم إطلاق الشعب ، كلم الله موسى وهرون قائلاً : " ليذبح كل بيت شاة صحيحة ذكرا ابن سنة .. ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها . هو فصح للرب . فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم . وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين . أنا الرب . ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها . فأرى الدم وأعبر عنكم . فلا يكون ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر . " (خروج ١٢: ٥، ١١-١٣) .

لقد طلب الله من العبرانيين إذن لكي ينجوا من العقاب الذي سيضرب به المصريين ، أن يذبحوا شاة أي خروفا ذكرا صحيحا ابن سنة . وأن يرشوا الدم على قائمتي الباب والعتبة العليا . وهكذا عندما مرّ الملاك المهلك ليفتك بأبكار المصريين عبر عن بيوت العبرانيين ، الذين وضعوا علامة الدم على أبواب بيوتهم. وتعبير آخر نجا أبكار العبرانيين من الموت برشهم الدم من الشاة التي ذبحوها .

لكن السؤال الآن لماذا طلب الله من العبرانيين أن يلجأوا إلى هذه الوسيلة لكي يعفو عن أبكارهم ؟ وهل كان الله عاجزا عن معرفة من يسكن داخل كل بيت دون وضع علامة الدم ؟

إنها بالفعل أسئلة هامة قد تتوارد على أذهاننا ، عندما نقرأ عن هذه الحادثة . فإلى ماذا تشير يا ترى هذه الحادثة المؤثرة التي جرت في التاريخ البشري القديم ؟

بالطبع ، لا بد من وجود سبب جوهري يفسر لنا السر الكامن وراء إصرار الله على ذبح الشاة أو الخروف ، ووضع علامة الدم . وسبق لنا أن كشفنا في حلقات سابقة عن أهمية الدم للتكفير عن الذنوب . فتحدثنا مثلا عن قبول الله لقربان هابيل الذي كان عبارة عن ذبيحة من أبكار غنمه . وكيف كان يطلب الله من المؤمنين به قديما أن يتقربوا إليه عن طريق الذبائح .

ولهذا كان لا بد للعبرانيين في مصر لكي ينجوا من الهلاك المحقق ، أن يطلب منهم الله أن يذبحوا الشاة ويضعوا علامة الدم . أي يكون الخروف هو البديل أو الفدية الذي يُذبح بالنيابة عنهم . ولقد سُمي هذا الخروف بخروف الفصح . وتعني كلمة الفصح : العبور عن . وهكذا عندما مرّ الملاك المهلك ورأى علامة الدم عبر عنهم . وتم قول الله لهم : فأرى الدم وأعبر عنكم . أي أصبحوا بواسطة هذا الخروف المذبوح آمنين .

إن هذا الأمر هو الذي يكشف لنا السر الكامن وراء هذه الحادثة . أن الله أراد أن يعلم العبرانيين الدرس الأول والمهم في علاقتهم معه . أنه بدون سفك الدم لا يمكن لهم النجاة من الهلاك المحقق . وأنه لكي تبدأ علاقتهم مع الله ، عليهم أن يكفروا أولا عن ذنوبهم بواسطة الذبيحة أو الدم . إذ بدون سفك دم لا تحصل مغفرة ، كما تقول كلمة الله الحية .

تلك كانت المعاني المباشرة لهذه الحادثة . لكن هذه الحادثة كانت تشير وترمز في نفس الوقت، لحادثة أخرى هامة كان لا بد أن تحصل في المستقبل . وهي التي سنتحدث عنها الآن.

لقد كان خروف الفصح الذي قدمه العبرانيون قديما ، يشير ويرمز إلى المخلص يسوع المسيح، الذي قدّم نفسه فدية أو كفارة من أجل معصية البشر جميعا . ولو أردنا المقارنة بين خروف الفصح والمخلص المسيح لفوجئنا من كثرة التشبيهات الموجودة . لهذا لم يكن غريبا أن يهتف النبي يوحنا أو يحيى ، عندما رأى المسيح مقبلا إليه قائلا : "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم ." (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا ١: ٢٩)

فالمسيح هو الحمل أي الخروف الذي رفع عنا عقاب الخطية ، بموته الكفاري على خشبة الصليب . ولقد وصف أيضا النبي إشعياء المسيح: " كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامئة أمام جازيها فلم يفتح فاه. " (اشعياء ٥٣:٧)

وكتب الرسول بولس في إحدى رسائله قائلا : " لأن فصحننا أيضا المسيح قد ذُبح لأجلنا. " (رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٥:٧) فالمسيح هو خروف الفصح الذي ذُبح من أجلنا نحن البشر الخاطئة ، لكي ننجو من دينونة الله.

ولهذا لم يكن صدفة أن يُقبض على المسيح ليلة عيد الفصح . وهو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بذكرى نجاتهم من مصر بواسطة خروف الفصح . وأن يُعلق على الصليب في صباح اليوم التالي . وكان المسيح بلا عيب ، أي بارا بلا خطيئة ، إذ لم يوجد في فمه غش أو مكر . تماما كالشاة الصحيحة التي طلب الله من العبرانيين قديما أن يقدموها .

ولقد أكد هذه الحقيقة الرسول بطرس ، عندما وصف دم المسيح الذي فدى المؤمنين على الصليب ، " بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح . معروفا سابقا قبل تأسيس العالم . " (رسالة بطرس الرسول الأولى ١:٩ و ٢٠) وسبق للمسيح نفسه أن قال لتلاميذه في العشاء الأخير معهم ، بعد أن أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا: " اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . " (الإنجيل بحسب بشارة متى ٢٦:٢٧ و ٢٨)

وكانت توجد عادة لدى الرومان أن يكسروا سيقان الذين يصلبونهم ، وهو ما فعلوه مع اللصين اللذين صُلبا مع المسيح . وأما المسيح فلما جاءوا إليه ، لم يكسروا ساقيه ، لأنهم رأوه قد مات. وكان هذا ليتم أمر الله قديما بالنسبة لخروف الفصح ، أنه يجب أن لا يُكسر عظم منه. وهذا دليل آخر على أن المسيح هو خروف الفصح الحقيقي الذي ذُبح من أجلنا نحن البشر الخاطئة .

وكما نجا أباكار العبرانيين من الهلاك المحقق في مصر ، بواسطة خروف الفصح المذبوح ، هكذا ينجو ويخلص اليوم من دينونة الله ، كل من يؤمن بكفارة المخلص المسيح. أجل أعزائي ، إن كل من يؤمن اليوم ، أن المسيح مات على الصليب عوضا عنه ، ينال الغفران عن ذنوبه. وليس هذا فحسب بل يصبح من أولاد الله ، ويضمن دخوله إلى السماء حيث يعيش إلى الأبد .

حقا ما أعظم أعمال الله وما أدهشها ، فهو منذ بدء الخليقة يشير وبأحداث ورموز عديدة ، إلى شخص المخلص المسيح ، الذي سيأتي ويفدي الإنسان .

نعم لقد هيا لك الله صديقي المستمع ، الذبيحة والفدية المقبولة أمامه ، لكي تنجو من الدينونة . فهل تراك تقبل وتؤمن بهذه الكفارة فتخلص ؟ أم تتجاهلها وترفضها فتدان ؟